بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ: كلمة توجيهية عبر الهاتف في دار الحديث بمدينة تولوز بالمشاركة مع مسجدين: مسجد التوحيد بـ"تولوز" ومسجد السنة بـ"مونترويل" بضواحي "باريس" لصاحِب الفضيلة المدرس في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية: أَبِيْ أَنَسٍ مُحَمَّدٍ بْنِ هَادِيْ الْمَدْخَلِيِّ حَفِظَهُ اللهُ وَرَعَاْهُ[1]

[الأَخُ سليمان وَفَّقَهُ اللهُ]: الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلين، نبيِّنَا محمدٍ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين، أما بَعْدُ: فَإِنَّهُ يَسُرُّنَا في هذا اليومِ (يومِ السَّبْتِ)، الموافقُ الثاني عشر، مِنْ شَهْرِ الْمُحَرَّمِ، عامَ أربعين وأَرْبَعْمِائةٍ وألفٍ مِنَ الهجرةِ؛ أَنْ نُجْرِيَ اتِّصَالًا هاتفيًا مع أَحَدِ العلماءِ البارزِينَ المعروفِينَ مِنْ قديمٍ بالرُّسوخِ في العلمِ، وسَلامَةِ المعتقدِ، وهو الشَّيْخُ محمدٌ بْنُ هادِيْ الْمَدْخَلِيُّ حَفِظَهُ اللهُ، الذي استجابَ لدعوةِ أبنائِهِ وتلاميذِهِ لِإِلْقَاءِ كلمةٍ توجيهيَّةٍ موجَّهةٍ إلى مُسْلِمِيْ فرنسا، في وقتٍ قد كَثُرَتْ فيه الفِتَنُ والمشاكِلُ الدَّعويَّةُ في كلِّ مكانٍ، عَصَمَنَا اللهُ وإِيَّاكُمْ منها، فَإِنَّ الواجِبَ في مِثْلِ هذه الأوقاتِ هو الرُّجوعُ إلى أهلِ العلمِ الموثوقين، فَإِنَّ العلماءَ هم ورثةُ الأنبياءِ، ومَثَلُهُمْ كَمَثَلِ النُّجومِ الَّتِيْ يُهْتَدَى بها في ظلماتِ البَرِّ والبحرِ، وهم زينةٌ في الأرضِ، ورجومٌ لِشَيَاطِينِ الإنسِ والجِنِّ الذين يُوحُونَ بَعْضُهُمْ إلى بعضٍ زُخْرُفَ القولِ غرورًا، فنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىْ أَنْ يُوَفِّقَ الشَّيْخَ مُحَمَّدًا لِمَا يُحِبُّ ويَرْضَى، وأَنْ ينفعَنَا وجميعَ المسلمين بما سَيُلْقِيْ على أسماعِنَا، إِنَّهُ سميعٌ قريبٌ مجيبٌ، فَلْيَتَفَضَّلِ الشَّيْخُ مشكورًا مأجورًا.

[الْكَلِمَةُ التَّوْجِيْهِيَّةُ لِلْعَلَّامَةِ مُحَمَّدٍ بْنُ هَادِيْ الْمَدْخَلِيِّ حَفِظَهُ اللهُ وَرَعَاْهُ]: السَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ، الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنَا محمدٍ، رسولِ ربِّ العالَمِينَ، ورحمَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ لِلْخَلْقِ أجمعين، ونعمَتِهِ الَّتِيْ أَنْعَمَ بها على عبادِهِ، فمَنْ أطاعَهُ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ

[1] _ ألقاها يوم السبت، الثاني عشر، من شهر الله الحرام، لعام ألف وأربعمائة وأربعين من هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

أَفْلَحَ ونَجَحَ، ومَنْ عَصَاهُ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَابَ وخَسِرَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وعلى آلِهِ وأَصْحَابِهِ وأَتْبَاعِهِ بإحسانٍ إلى يَوْمِ الدِّين، أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّهُ لَمِنْ دَوَاعِي السُّرُورِ أَنْ نلتقِيَ في هذا اليومِ، في شهرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ، يَوْمَ السَّبْتِ، الموافِقُ لِلثَّانِي عَشْرَ مِنْ هذا الشَّهرِ المحرَّمِ، نَلْتَقِيَ هذه الدَّقائِقَ؛ نتذاكَرُ فيها نَحْنُ وإِيَّاكُمْ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ في جمهوريَّةِ فرنسا، وهي أَوَّلُ محاضرةٍ معكم وكلمةٍ معكم ومذاكرةٍ معكم في هذا العامِ عامِ أربعين وأربَعْمِائَةٍ وألفٍ مِنْ هجرةِ النَّبِيِّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَيُّهَاْ الإخوةُ في اللهِ، إنَّ أَوَّلَ ما أُوْصِي به نَفْسِي وإِيَّاكُمْ أَنْ نَعْتَنِيَ به ونحرِصَ كلَّ الحرصِ على الاعتناءِ به، وَفَّقَنِي اللهُ وإِيَّاْكُمْ؛ هو أَصْلُ هدايَتِنَا الذي مَنَّ اللهُ به علينا، وهذا الأصلُ هو كتابُ اللهِ جَلَّ وَعَلَاْ.

فأُوْصِيْكُمْ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ ونَفْسِي بالاعتناءِ بكتابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَاْ، فهو الذي أخرجَنَا اللهُ جَلَّ وَعَلَاْ به مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ، امْتَنَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ به علينا نعمةً عظيمةً منه {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}[٢].

هذا الكتابُ هو النُّورُ الذي قال اللهُ جَلَّ وَعَلَاْ فيه: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}[٣]، قال جَلَّ وَعَلَاْ: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ}[٤]، قال سُبْحَانَهُ: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}[٥].

هذا الكتابُ الذي هدانا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ به، فَأَنَارَ قلوبَنَا وإِيَّاكُمْ به، وأَرْشَدَنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ به، وعَلَّمَنَا جَلَّ وَعَلَاْ به، يَجِبُ أَنْ نَعْتَنِيَ به؛ لِأَنَّهُ الأصلُ العظيمُ في هدايَتِنَا.

---

[٢] _ ص (٢٩).

[٣] _ الشعراء (١٩٣_١٩٥).

[٤] _ التكوير (١٩_٢١).

[٥] _ الفرقان (١).

هذا الكتابُ أَنْزَلَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ بالحقِّ على رسولِهِ، هذا الكتابُ أَنْزَلَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ مصدِّقًا لما بين يَدَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ، وأَنْزَلَهُ مُهَيْمِنًا عليها أَيْضًا، مُؤْتَمِنًا، مُصَدِّقًا عليها، وشهيدًا عليها، فهو آخِرُهَا وأَجْمَعُهَا.

هذا الكتابُ ينبغي أَنْ نعتنِيَ به مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ، هذا الكتابُ الذي تَحَدَّى اللهُ به الخلقَ جميعًا على أَنْ يأتوا بِمِثْلِهِ، وبعَشْرِ سُوَرٍ منه، ثم بوَاحِدَةٍ، فما استطاعَتِ العربُ الذين هم أفصحُ الخلقِ أَنْ يأتوا بسورةٍ واحدةٍ مِنْ مِثْلِهِ.

مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ، هذا الكتابُ هو السَّبَبُ في هدايَتِنَا وهدايَةِ مَنْ قَبْلَنَا وهدايَةِ مَنْ يأتي بَعْدَنَا.

هذا الكتابُ العظيمُ هو السببُ في كَونِ أَتْبَاعِ النَّبيِّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم أكثرُ الأممِ، وهم أكثرُ أتباعِ الأنبياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ، فرسولُنَا أكثرُ الأنبياءِ تَبَعًا بسببِ هذا الكتابِ العظيمِ الْمُعْجِزِ الذي تَحَدَّى اللهُ بِهِ الخلقَ قاطِبَةً، يقولُ في هذا نبيُّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ كما هو معلومٌ لدى أَهْلِ الْعِلْمِ وطلبةِ العلمِ في حديثِ أبي هريرةَ: "ما مِنَ الأنبياءِ إلا أُعْطِيَ ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه الْبَشَرُ، وإِنَّمَا كان الذي أُوْتِيْتُ وَحْيًا أوحاه اللهُ إليَّ، فأرجو أَنْ أكونَ أكثرَهُمْ تابِعًا يَوْمَ القيامَةِ".

فالنَّبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ يُخْبِرُ أَنَّهُ ما مِنْ نَبيٍّ مِنَ الأنبياءِ إلا أُعْطِيَ مِنَ الآياتِ ما آمَنَ بِسَبَبِهِ مَنْ كان في زمانه، وهو عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ أُعْطِيَ هذا القرآنَ، هذا الكتابَ العظيمَ.

فمعجزتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ هذا الكتابُ الذي أَوْحَاهُ اللهُ إليه، الخالِدُ، البَاقِي في أُمَّتِهِ حَتَّىْ يَأْذَنَ اللهُ جَلَّ وَعَلَاْ في آخِرِ الزَّمَانِ بِرَفْعِهِ، فَلِذَلِكَ آمَنَ عليه النَّاسُ.

والفَرْقُ بينه وبين معجزاتِ الأنبياءِ أَنَّهُ ما مِنْ نَبيٍّ قَبْلَ النَّبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ إلا وأُعْطِيَ مِنَ المعجزاتِ ما آمَنَ عليه البشرُ، يعني: تكونُ هذه المعجزةُ دليلًا على تصدِيْقِهِ، على صِدْقِه فيما جاء به، واتَّبَعَهُ مَنِ اتَّبَعَهُ مِنَ الْبَشَرِ.

لَكِنَّ هؤلاء الأنبياءَ لما ماتوا لم يَبْقَ لهم معجزةٌ بَعْدَهُمْ إلا ما يَنْقُلُهُ أَتْبَاعُهُمْ عما شاهدوه في زمانِهِ (في زمانِ هذا النَّبيِّ)، ما رأوا مِنَ المعجزةِ؛ يَنْقُلُونَهَا لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وانتهت هذه المعجزةُ.

أما رسولُنَا عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ صاحِبُ الرِّسَالَةِ الخاتِمَةِ، وهو النَّبيُّ الخاتَمُ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال جَلَّ وَعَلَاْ: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}[٦].

هذا النَّبيُّ الخاتَمُ كان عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ الذي آتاه اللهُ وَحْيًا، كان معظمُ ما آتاه سُبْحَاْنَهُ وَتَعَاْلَىْ وَحْيًا منقولًا منه صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى النَّاسِ بالتَّوَاتُرِ.

وهذا القرآنُ هو أعظمُ ما جاء به عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ، فَتَنَاقَلَهُ النَّاسُ عنه جِيْلًا بعدَ جيلٍ بالتَّواتُرِ، ففي كلِّ [جِيْلٍ][٧] يَنْقُلُهُ أصحابُ ذلك الزَّمَنِ عن أصحابِ الزَّمَنِ الذي قَبْلَهُمْ، فلذلك كَثُرَ أَتْبَاعُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ، فكان أتباعُهُ أكثرَ مِنْ أتباعِ الأنبياءِ صَلَوَاْتُ اللهِ وَسَلَاْمُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِيْنَ، وكَثُرَ أتباعُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ عن أتباعِ بقيَّةِ الأنبياءِ لِعُمُومِ رسالَتِهِ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودَوَامِهَا إلى قيامِ السَّاعَةِ، واستمرارِ مُعْجِزَتِهِ، ولهذا قال سُبْحَاْنَهُ في سورةِ الفرقان: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}[٨].

---

[٦] _ الأحزاب (٤٠).

[٧] _ غير ظاهرة في الأصل.

[٨] _ الفرقان (١).

هذا الفرقانُ هو القرآنُ، نَزَّلَهُ سُبْحَانَهُ ليكونَ للعالَمِينَ نذيرا، فكانَ مِنْ حَقِّهِ الدَّوامُ والبَقَاءُ إلى أَنْ يأذَنَ اللهُ برَفْعِهِ، فهو حُجَّةٌ للهِ جَلَّ وَعَلَاْ علينا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ، فلا يستطيعُ أحدٌ أَنْ يُعَارِضَهُ، ولا يستطيعُ أحدٌ أَنْ يُدْخِلَ فيه شيئًا كما قال جَلَّ وَعَلَاْ: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}[٩].

وفي الآيَةِ الأُخْرَى تَنَزَّلَ معهم عن الْمِثْلِ إلى الْعَشْرِ؛ قال جَلَّ وَعَلَاْ كما في سورة [هود][١٠]: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[١١]، فَتَنَزَّلَ معهم إلى الْعَشْرِ ولا يستطيعون.

فَتَنَزَّلَ أكثرَ مِنْ ذلك، فتحدَّاهُمْ أَنْ يأتوا بسورةٍ مِنْ مِثْلِهِ، فَعَجَزُوْا؛ كما قال جَلَّ وَعَلَاْ: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[١٢].

سُوْرَةُ هُوْدٍ؛ تَحَدَّاهُمْ أَنْ يأتوا بِعَشْرِ سُوَرٍ، وهنا تَحَدَّاهُمْ أَنْ يأتوا بِسُورَةٍ واحِدَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، فَقَصُرُوا وعَجَزُوا عن ذلك.

فأنتم تَرَوْنَ: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[١٣]، فعجزوا.

وهنا يَتَحَدَّاهُمْ {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[١٤]؛ في سورة يونس، تحداهم بالسُّورةِ الواحِدَةِ، فعَجَزُوْا.

---

[٩] _ الإسراء (٨٨).

[١٠] _ في الأصل: "يونس".

[١١] _ هود (١٣).

[١٢] _ يونس (٣٨).

[١٣] _ هود (١٣).

وهكذا في سورةِ البقرَةِ في قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَاْ: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِيْ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}[١٥].

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ عاجزون عن معارَضَتِهِ، عن أَنْ يأتوا بِمِثْلِهِ، وبِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ، وبِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وأنهم لا يستطيعون ذلك؛ لا قريشٌ ولا مَنْ بَعْدَهُمْ، فإذا كان أفصحُ الخلقِ (وهم قريشٌ)، وأَعْلَمُهُمْ بالبلاغَةِ، وأَعْلَمُهُمْ بالشِّعْرِ، وأَعْلَمُهُمْ بلغةِ العربِ، ومع ذلك لم يستطيعوا أَنْ يأتوا بشيءٍ يُشْبِهُ هذا الكلامَ الفصيحَ، البليغَ، الوجيزَ، المختصرَ، المحتَوِيَ على هذه العلومِ النَّافعةِ الكثيرةِ، والمحتَوِيَ على هذه المنافِعِ العظيمةِ، وعلى هذه الأخبارِ الصَّادِقَةِ، وعلى هذه الوُعُودِ الصَّادِقَةِ الَّتِيْ وَقَعَ بَعْضُهَا، وسيأتي البعضُ الآخَرُ، لا شَكَّ فيه ولا رَيْبَ، والمحتَوِيَ على هذه الأحكامِ العادِلَةِ، فأخبارُهُ صِدْقٌ، وأحكامُهُ عَدْلٌ، وهو الْمُحْكَمُ كما قال جَلَّ وَعَلَاْ: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا}[١٦].

فإذا كان هذا حالُ هذا الكتابِ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ؛ هذا الكتابُ العظيمُ الذي يَقْصِمُ اللهُ به الجبابِرَةَ، ومَنِ اعتصمَ بهذا القرآنِ نَجَا، ومَنْ تَرَكَهُ هَلَكَ، هذا الكتابُ العظيمُ هو القولُ الْفَصْلُ الذي ليس بالْهَزْلِ، هذا القولُ العظيمُ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ الذي لا تَفْنَى عجائِبُهُ، ولا تَنْقَضِي عجائِبُهُ، ولا يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ (أي: لا يَبْلَى)، فيه الأخبارُ عَمَّنْ كان قَبْلَنَا، وفيه الفصلُ لما هو بيننا، وفيه ما هو خبرٌ عما هو كائنٌ بَعْدَنَا؛ كما جاء ذلك في حديثِ عَلِيٍّ وفي حديث ابْنِ مسعودٍ.

---

[١٤] _ يونس (٣٨).

[١٥] _ البقرة (٢٣_٢٤).

[١٦] _ الأنعام (١١٥).

فهذا الكتابُ هو الذِّكْرُ الحكيمُ، مَنِ ابْتَغَى مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ الْهُدَى في غيرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ مَعْشَرَ الْإِخْوَانِ، هو حبلُ اللهِ المتينُ، وهذا الكتابُ هو الذِّكْرُ الحكيمُ الذي أَنْزَلَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَاْ، وهو الصِّرَاطُ المستقيمُ الذي مَنْ تَمَسَّكَ به نَجَا، وهو الذي لا تَزِيْغُ به الأهواءُ، فلا تَلْتَبِسُ به الألسنُ.

هذا الكتابُ العظيمُ هو الذي لا يَشْبَعُ منه العلماءُ، هذا الكتابُ العظيمُ الذي لا يَخْلَقُ ولا يَبْلَى مِنْ كثرةِ التِّرْدَادِ والقراءَةِ له، هذا الكتابُ العظيمُ الذي لا تَنْقَضِي عجائِبُهُ، هذا الكتابُ الذي الجِنُّ حينما سَمِعَتْهُ مِنْ رسولِ اللهِ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ تَنْتَهِ حَتَّىْ قَالَتْ: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا}[١٧].

هذا الكتابُ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ مَنْ قال بالذي فيه صَدَقَ، مَنْ قال بما جاء فيه صَدَقَ، هذا الكتابُ العظيمُ مَنْ عَمِلَ بما جاء فيه أُجِرَ، هذا الكتابُ العظيمُ مَنْ حَكَمَ به عَدَلَ في أحكامِهِ، هذا الكتابُ العظيمُ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ مَنْ دَعَا إليه وإلى ما احتواه مِنَ العلومِ العظيمةِ هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيمٍ.

فاللهَ اللهَ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ؛ كما قال عبدُاللهِ بْنُ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "إِنَّ هذا القرآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ، فتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ ما اسْتَطَعْتُمْ".

هذا القرآنُ هو حَبْلُ اللهِ (كما قُلْنَا)، وهو النُّورُ الْمُبِينُ، وهو الشِّفَاءُ النَّافِعُ، وهو العصمةُ لِمَنْ تَمَسَّكَ به، وهو النَّجاةُ لِمَنِ اتَّبَعَهُ، ونُؤْجَرُ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ على تلاوَتِهِ، بكلِّ حرفٍ عَشْرُ حسناتٍ مع ذلك، كما قال النَّبِيُّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَمَا إِنِّي لا أقولُ {ألم} حَرْفٌ، ولَكِنْ ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ" فعلى كلِّ حَرْفٍ عشرُ حسناتٍ، والحسنةُ بِعَشْرِ أمثالِهَا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ، فاللهَ اللهَ.

---

[١٧] _ الجن (١_٢).

على العبدِ أَنْ يَتَفَقَّدَ نفسَهُ مع هذا القرآنِ كما قال عبدُاللهِ بْنُ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَىْ عَنْهُ؛ قال: "لا يَسْأَلُ عبدٌ عن نَفْسِهِ إلا القرآنَ، فَإِنْ كان يُحِبُّ القرآنَ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ".

فعلينا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ أَنْ نعملَ بهذا، هذا أَوَّلُ ما أُوْصِيكُمْ به مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ؛ لأنَّكُمْ في بلادِ الكفَّارِ، وهذا الكتابُ أعظمُ شيءٍ تواجهون به الكفَّارَ، تَتَحَدَّوْنَهُمْ به، وتُظْهِرُونَ لهم أهميتَهُ وعِظَمَهُ، تُظْهِرُونَ لهم أنه كتابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وأَنَّهُ مُعْجِزٌ، تُظْهِرُونَ لهم ما احتوى عليه مِنَ العلومِ والأحكامِ والآدابِ والأخبارِ.

فاللهَ اللهَ مَعْشَرَ الْإِخْوَةِ في تعلُّمِهِ، والعكوفِ عليه، وقراءَتِهِ، والاعتناءِ بِهِ، وقراءَةِ تفسيرِهِ، والاعتناءِ بذلك؛ فإِنَّ مَنْ قرأ القرآنَ وتَفَهَّمَهُ وتَفَقَّهَ فيه وتَعَلَّمَهُ انْتَفَعَ في نَفْسِهِ (نَفَعَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَاْ بذلك في نَفْسِهِ) ونَفَعَ به غيرَهُ مِمَّنْ شَاءَ الله له الانتفاعَ.

فاللهَ اللهَ مَعْشَرَ الْإِخْوَةِ، فَإِنَّكُمْ في بلادٍ قد غَلَبَ على أَهْلِهَا الكفرُ، فتَمَسَّكُوا بدينِكُمْ، وأعظمُ ما أوصيكم أَنْ تَمَسَّكُوا به كتابُ اللهِ جَلَّ وَعَلَاْ (الذي سمعتم الكلامَ المختصرَ الآنِفَ الذِّكْرِ قبلَ قليلٍ).

والكلامُ في القرآنِ لا يَكْفِيْهِ كلمةٌ أو كلماتٌ مثلُ هذه الَّتِيْ سَمِعْنَا، الكلامُ في القرآن يحتاجُ إلى وَقْتٍ كثيرٍ، ولَكِنْ حَسْبُنَا أَنْ نُشِيرَ بهذه الإشارَةِ الَّتِيْ فيها إِنْ شاء اللهُ تَعَالَىْ الخيرُ، وفيها إِنْ شاء اللهُ تَعَالَىْ النَّفْعُ لِمَنْ أرادَ اللهُ جَلَّ وَعَلَاْ له الانتفاعَ، فهي إنما هي تذكيرٌ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ، إنما هي تذكيرٌ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ، ونَسْأَلُ اللهَ جَلَّ وَعَلَاْ أَنْ يجعلنا وإِيَّاْكُمْ مِمَّنْ يَنْتَفِعُ بالذِّكْرَى.

وأُوْصِيْكُمْ[١٨] ونَفْسِي، وهكذا إخوانَكَ، وجميعَ إخواني وأبنائي الذين يستمعون معنا في هذه الدَّقائِقِ؛ أُوْصِي نَفْسِي وإِيَّاْكُمْ جميعًا بِأَنْ نَعْتَنِيَ بهذا الجانِبِ (بجانِبِ الْقُرْآنِ)، ونَعْتَزَّ بِهِ، ونَفْتَخِرَ به؛

---

[١٨] _ هنا في الأصل:

[الشيخ محمد حفظه الله ورعاه]: ... سليمان.

[الأخ سليمان وفقه الله]: نعم.

فَإِنَّهُ هو الذي أعلانا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ به، ورَفَعَنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ به، وأَعَزَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ به، ونَصَرَنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ به، وأَعْلَاْ شَأْنَنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ به.

فاللهَ اللهَ في الاعتناءِ بِهِ، والاعتزازِ بِهِ، وإظهارِ قِيْمَتِهِ عندنا نَحْنُ المسلِمِينَ، وأَنَّهُ أَغْلَى عندنا مِنْ أَرْوَاحِنَا؛ لِأَنَّهُ أَنْقَذَنَا اللهُ جَلَّ وَعَلَاْ به مِنَ الجهالَةِ إلى الْعِلْمِ، ومِنَ الْعَمَايَةِ إلى الهِدَايَةِ، ومِنَ الغِوَايَةِ إلى الاستقامَةِ، ومِنَ الذِّلَّةِ إلى الْعِزَّةِ، ومِنَ الفقرِ إلى الْغِنَى.

فعلينا أَنْ نَعْتَنِيَ به، وأَنْ نَعْتَزَّ به، وأَنْ نَتَمَسَّكَ به، وأَنْ نَعْمَلَ به، وأَنْ نُظْهِرَهُ في النَّاسِ، وأَنْ نَدْعُوَهُمْ إليه، وأَنْ نُبَيِّنَ ما احتوى عليه مِنَ العلومِ النَّافِعَةِ.

وأُوْصِيْكُمْ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ بالأمرِ الآخَرِ وهو الاعتناءُ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ بِسُنَّةِ النَّبيِّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاحْرِصُوْا على كُتُبِ السُّنَّةِ، والاعتناءِ بها؛ حِفْظًا لِمُخْتَصَرَاتِهَا الَّتِيْ حُذِفَتْ منها الأسانِيْدُ وبُوِّبَتْ، إِمَّا على الأحكامِ كَعُمْدَةِ الأحكامِ للحافِظِ ابْنِ عَبْدِالغَنِيِّ المقدسِيِّ، وكبلوغِ المرامِ للحافِظِ ابْنِ حَجَرٍ، وكالْمُنْتَقَى (مُنْتَقَى الْأَخْبَارِ) لِمَجْدِ الدِّينِ أَبي البركاتِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَىْ جَمِيْعًا.

أو صُنِّفَتْ على الآدابِ والأخلاقِ ككتاب الأدَبِ الْمُفْرَدِ للإمامِ الحافِظِ البخارِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىْ وَرَضِيَ عَنْهُ، وهكذا "أخلاقُ النَّبيِّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآدابهُ" لأبي الشَّيْخِ الأصبهانِيِّ، وهكذا "مكارِمُ الأخلاقِ" للطَّبرانِيِّ، و"مكارِمُ الأخلاقِ" للحافِظِ الْخَرَائِطِيِّ، "الآدَابُ" لِلْبَيْهَقِيِّ، ونَحْوِهَا مِنْ كُتُبِ الآدابِ الَّتِيْ وَرَدَتْ عن النَّبيِّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهكذا كُتُبُ الزُّهْدِ والورعِ الَّتِيْ تَحُثُّ على الاستعدادِ للآخِرَةِ والإقبالِ على ما يَنْفَعُنَا فيها والتَّقَلُّلِ مِنَ الدُّنيا والأَخْذِ بِحَظِّنَا منها، لكن الحظُّ الذي لا يُنْسِينَا الآخرةَ.

الْحِرْصَ على هذه الْكُتُبِ، ما كان منها مختصرًا يُحْفَظُ، وما كان منها مُطَوَّلًا يُرْجَعُ إليه ويُقْرَأُ فيه وفِي شُرُوحِ العلماءِ عليه (العلماء الموثوقين)، ويُسْتَفَادُ منها.

الحاصِلُ: مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ أُوْصِيْكُمْ بالأَمْرِ الثَّانِي والأَصْلِ الثَّانِي؛ وهو سُنَّةُ النَّبِيِّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومِنَ الكُتُبِ المهمةِ في هذا: كتابُ رياضِ الصّالِحِينَ للحافظ النووي، كتابٌ عظيمٌ، كتابٌ نافعٌ، كتابٌ جَمَعَ فيه الخيرَ الكثيرَ، فأوصيكم مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ بالاعتناءِ بِهِ، وبِشُرُوحِ العلماء الموثوقين عليه، كتعليقاتِ شَيْخِنَا شيخِ الإسلامِ الشَّيخِ عبدِالعزيزِ بْنِ بازٍ رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ (على كتابِ رياضِ الصَّالِحِينَ لِلنَّوَوِيِّ رَحِمَهُ اللهُ)، هكذا شَرْحِ العلّامَةِ الشّيخِ محمدٍ بْنِ عُثَيْمِيْنَ رَحِمَهُ اللهُ عليه.

وهكذا الاعتناءُ بهذه الكُتُبِ يُفِيدُنَا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ عِلْمًا، وَفِقْهًا، وأخلاقًا، وآدابًا، وزهدًا، وورعًا، ويُفِيدُنَا وإِيَّاْكُمْ تقصيرَ الأملِ في هذه الحياةِ الدّنيا، والاستعدادَ للآخِرَةِ وللرَّحِيْلِ لِيَوْمِ الرَّحيلِ.

فهذه الْكُتُبُ ينبغي أَنْ يَعْتَنِيَ بها المسلمُ.

والأصلُ الثالثُ الذي أوصيكم به مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ أَنْ تعتنوا بالعقيدةِ (العقيدةِ الصحيحةِ) الَّتِيْ هي رأسُ المالِ، الاعتناءِ بالعقيدةِ الصَّحيحةِ، الاعتقادِ الذي كان عليه النَّبِيُّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابُهُ رَضِيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ عَنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ وما كان عليه تلاميذُهُمْ مِنَ التَابِعِينَ وأَتْبَاعِ التَّابعين وتَبَعِ الأتباع كالإمامِ أحمدَ ومَنْ كان معهم رَحِمَهُمُ اللهُ مِنْ أَئِمَّةِ الحديثِ والسُّنَّةِ.

أوصيكم مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ بالاعتقادِ (كُتُبِ الاعْتِقَادِ)، اعتنوا بها، في مُقَدَّمِهَا توحيدُ الإلهيَّةِ، فعليكم بالقواعِدِ الأَرْبَعِ حِفْظًا وفَهْمًا، والأصولِ الثلاثَةِ حِفْظًا وفَهْمًا وَفِقْهًا فِيْهَا، وهكذا كتابِ التوحيدِ لِشَيْخِ الإسلامِ محمدِ بْنِ عبدِالوهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىْ، ثم كَشْفِ الشُّبُهَاتِ، هذه نافعةٌ جدًّا، تُؤَصِّلُ لكم الاعتقادَ، وتَنْفِي الشُّبَهَ الَّتِيْ يُوْرِدُهَا أعداءُ اللهِ ورسولِهِ على هذا الاعتقادِ الصَّحيحِ.

هكذا "العقيدة الواسطية" بتعليقِ الشَّيْخِ الفوزانِ الْمُخْتَصَرِ، ومَنْ أرادَ أَوْسَعَ منه قليلًا فكذلك تعليقِ شَيْخِنَا شيخِ الإسلامِ الشَّيْخِ عبدِالعزيزِ بْنِ بازٍ رَحِمَهُ اللهُ عليه، ومَنْ أرادَ أَنْ يتوسَّعَ؛ قَرَأَ كذلك تعليقَ وشَرْحَ الشَّيخِ محمدِ بْنِ عثيمين العلَّامَةِ الجليلِ رَحِمَهُ اللهُ عليه، هذا في بابِ الصِّفَاتِ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ (هذا في بابِ الأسماءِ والصِّفَاتِ).

فتوحيدُ العبادةِ وتوحيدُ الأسماءِ والصِّفَاتِ؛ هذان البابان ضَلَّ فيهما المشركون، وضَلَّ فيهما أهلُ الباطِلِ مِنْ أهلِ التّأويلِ والإلحادِ، فالمشركون الذي حاربوا الأنبياءَ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ إنما حاربوهم في توحيدِ الْإِلَهِيَّةِ، لم يحاربوهم في توحيدِ الربوبيَّةِ.

وهكذا بابِ الأسماءِ والصِّفَاتِ الذي أفسدَ فيه أهلُ الباطِلِ مِنْ أَهْلِ الكلامِ مِنَ الجهمية والمعتزلَةِ والأشاعِرَةِ ومَنْ نَحَا نَحْوَهُمْ.

فهذا الكتابُ (كتابُ الواسِطَيَّةِ) والشُّروحُ عليه كتابٌ عظيمٌ، مهمٌ جِدًّا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ أَنْ تَفَقَّهُوْا فيه، وتَتَعَلَّمُوهُ، وتَتَفَهَّمُوهُ، وتَتَدَبَّرُوهُ، ثم تقرؤون بعد ذلك الْحَمَوِيَّةَ.

أوصيكم مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ بهذه الْكُتُبِ، اعتنوا بها، اعتنوا بها، اعتنوا بها مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ، فإنها أَصْلُ دِيْنِكُمْ، يُثَبِّتُكُمُ اللهُ جَلَّ وَعَلَاْ بها.

وبعد ذلك أُوصِيْكُمْ بمختصَرِ الصَّحِيْحَيْنِ لِلْبُخَارِيِّ ومُسْلِمٍ، اقرؤوا فيهما، وهكذا الأمهاتِ الْأَرْبَعِ ولله الحمدُ، وقد وَفَّقَ اللهُ العَلَّامَةَ الْمُحَدِّثَ حامِلَ رايَةِ الحديثِ في هذا الزَّمَنِ بلا مُنَازِعَ (في هذا العصرِ الحديثِ) الشَّيخَ مُحَمَّدًا نَاصِرَ الدِّيْنِ الْأَلْبَانِيَّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىْ وغَفَرَ له ورَضِيَ عَنْهُ أَنْ قَامَ واجْتَهَدَ وَمَيَّزَ الصّحيحَ فيها مِنَ السَّقيمِ، مع نَقْلِهِ لأقوالِ الْعُلَمَاءِ، فاعتنوا بها، فهي بَيْنَ أيديكم مصفاةٌ، مُنَقَّاةٌ، اعتنوا بها، وتَعَلَّمُوْهَا، واقرؤوا فيها.

فاللهَ اللهَ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ بالاعتناءِ بالسُّنَّةِ؛ فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَاْ بَعَثَ رسولَهُ إلينا وأَنْزَلَ كتابَهُ عليه صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْرِجَنَا به مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ، وأَوْحَى إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ هذه السُّنَّةَ كما قال جَلَّ وَعَلَاْ: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}[١٩].

فأوحى اللهُ إلى نبيِّهِ هذه السُّنَّةَ كما أوحى إليه بالقرآنِ، فاحرصوا عليها حَفِظَكُمُ اللهُ (كما ذَكَرْتُ لكم)، وتَفَهَّمُوا فيها، واعتنوا بكُتُبِ الأحكامِ الثَّلاثةِ: عمدةِ الأحكامِ والشُّروحِ الَّتِيْ عليها، ابدؤوا بالمختصرِ ثم المتوسط، وهكذا بلوغِ المرامِ، وهكذا منتقى الأخبارِ، هذه الكُتُبُ في الأحكامِ (الثلاثة) مِنْ أنفعِ الكتبِ، فاعتنوا بها؛ فَإِنَّ أحاديثَ الاحكامِ غالِبًا لا تخرجُ عنها، اعتنوا بها، واستفيدوا منها، وتَفَقَّهُوْا فيها.

واعلموا وَفَّقَنِي اللهُ وإِيَّاكُمْ أَنَّ مَنْ حَفِظَ اللهَ حَفِظَهُ اللهُ، ومَنْ حَفِظَ اللهَ وَجَدَهُ تُجَاهَهُ، فالواجِبُ علينا وعليكم مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ أَنْ نَعْمَلَ بهذا كما جاءَتِ الوصيةُ بذلك في حديثِ ابْنِ عباسٍ، حينما أَوْصَاهُ النَّبيُّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقولِهِ: "يا غلامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كلماتٍ، احفظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إذا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللهِ".

فهذا الحديثُ العظيمُ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ هو الذي أُوْصِي نفسي وإِيَّاكُمْ به (بالوصية الثالثة)؛ أَنْ نحفظَ اللهَ جَلَّ وَعَلَاْ، فَإِنَّ مَنْ حَفِظَ اللهَ حَفِظَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ، وحِفْظُ اللهِ بفعلِ الأوامِرِ وتَرْكِ النَّوَاهِي؛ حفظُ الأوامرِ بالامتثالِ، وتركُ النَّوَاهِي بالاجتنابِ والحذَرِ، فهذا هو سببُ صلاحِ القلبِ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ وثَبَاتِهِ.

والمعنى: إِنْ تَنْصُرُوا دينَ اللهِ، نَصْرُ أوامِرِهِ ونصرُ نَوَاهِيْهِ؛ بالْفِعْلِ بالأَوَامِرِ والْكَفِّ عن النَّوَاهِي والجهادِ في سَبِيْلِهِ، ومَنْ حَفِظَ اللهَ حَفِظَهُ اللهُ، المرادُ بـ(الْحِفْظِ) كما قُلْنَا: الاستقامَةُ على أوامِرِ اللهِ، والنَّوَاهِي الْحَذَرُ مِنْهَا.

---

[١٩] _ النجم (١_٤).

وقولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ: "تَجِدْهُ تُجَاهَكَ": أي: مَعَكَ، فهو أَمَامَكَ، إذا اسْتَقَمْتَ فهو أَمَامَكَ، يُعِينُكَ على الخيرِ، ويُوَفِّقُكَ، ويُسَهِّلُ طَرِيقَكَ كما قال النَّبيُّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لصاحِبِهِ حينما كان في الهجرةِ في الْغَارِ: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}[٢٠]، كما قال جَلَّ وَعَلَاْ أَيْضًا لعبدِهِ وكَلِيمِهِ مُوْسَى عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ وَلِأَخِيهِ هارُوْنَ عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}[٢١].

فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ مع أوليائِهِ بالْحِفْظِ والتَّأْيِيْدِ والتَّوفِيْقِ والْهِدَايَةِ، ومع العبادِ كُلِّهِمْ (مَعَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ) بالعلمِ والإحاطةِ سُبْحَانَهُ، وهو فوقَ العرشِ، فوقَ جميعِ المخلوقاتِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ، لكن لا يَخْفَى عليه خَافِيَةٌ.

فالعبدُ متى حَفِظَ اللهَ بطاعَةِ أَوَامِرِهِ واجتنابِ نَوَاهِيهِ (اسْتَعَدَّ للآخِرَةِ)؛ حَفِظَهُ اللهُ، ونَصَرَهُ، وصَارَ مَعَهُ كما قال جَلَّ وَعَلَاْ: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}[٢٢]، فهو معه، ناصِرٌ له، ومؤيِّدٌ له، ومُوَفِّقٌ له.

علينا جميعًا هكذا؛ أَنْ نستعينَ باللهِ جَلَّ وَعَلَاْ، وألا نَسْأَلَ إلا اللهَ كما قال النَّبيُّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابْنِ عبَّاسٍ: "وإذا سألْتَ فاسْأَلِ اللهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللهِ"؛ أي: اخْضَعْ في كلِّ الأمورِ للهِ، وَأَخْلِصْ له العملَ في جميعِ شؤونِكَ وأمورِكَ، ولا تَغْفُلْ عنه، فإذا طَرَحْتَ حوائِجَكَ فلا تُلْقِيهَا إلا إليه، ولا تتوجَّهُ بها إلا إليه، فهو الذي يُعِينُكَ، وهو الذي بيَدِهِ كلُّ شَيْءٍ، وهو الذي يقضي الحوائِجَ ويُسَهِّلُ الأمورَ، فمتى لجأْتَ إليه وكنْتَ اسْتَقَمْتَ (وكنْتَ قَدِ اسْتَقَمْتَ) على دِيْنِهِ، وأخذْتَ بالأسباب الَّتِيْ شَرَعَهَا اللهُ لك، وأباحَهَا لك؛ وَفَّقَكَ اللهُ جَلَّ وَعَلَاْ.

---

[٢٠] _ التوبة (٤٠).

[٢١] _ طه (٤٦).

[٢٢] _ النحل (١٢٨).

وهكذا الاستعانَةُ، لا تستعينُ إلا به في كلِّ الأمورِ؛ في أمورِ الدُّنْيَا والآخرةِ، تستعينُ به جَلَّ وَعَلَاْ على التّوفيقِ لك في الطَّاعَةِ، تستعينُ به على طَلَبِكَ لِلرِّزْقِ، وفِي التِّجَارَةِ، تستعينُ به على تربيةِ أَوْلَادِكَ، تستعينُ به على جميعِ إصلاحِ شُؤُونِ دِيْنِكَ ودُنْياكَ كما قال جَلَّ وَعَلَاْ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[٢٣].

فكما تستعينُ به في أَمْرِ الآخرَةِ في طاعَةِ الأوامِرِ وتَرْكِ النَّواهِي فهو المستعانُ به في كُلِّ شَيْءٍ.

فإذا كان كذلك؛ فاعْلَمُوا أَنَّهُ كما قال النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ: "لو اجتمعَتِ الأمةُ على أَنْ ينفعوكَ بشيءٍ لم ينفعوكَ إلا بشيءٍ قد كَتَبَهُ اللهُ لك، ولو اجتمعوا على أَنْ يضرُّوكَ بشيءٍ لم يضرُّوكَ إلا بشيءٍ قد كَتَبَهُ اللهُ عليك"؛ يعني: أَنَّهُ ليس يكون لك أمرٌ بِيَدِ النَّاسِ، بل الأمرُ كُلُّهُ بِيَدِ اللهِ سُبْحَاْنَهُ وَتَعَاْلَىْ، هو الذي قَدَرَ الْقَدَرَ، وَكَتَبَ الْقَدَرَ، وتَمَّتِ الأمورُ، فهي بِيَدِهِ سُبْحَانَهُ، هو الذي يُعْطِي ويَمْنَعُ، وهو الذي يَخْفِضُ ويَرْفَعُ.

فعلينا جميعًا باللجوءِ إليه، وسؤالِهِ، والاستعانَةِ به سُبْحَاْنَهُ وَتَعَاْلَىْ في كلِّ أمورِنَا، فما شَاءَ اللهُ كان، وما لم يَشَأْ لم يَكُنْ، فالواجِبُ علينا وعليكم جميعًا ألا نستعينَ [إلا][٢٤] بِاللهِ.

المخلوقُ يستعانُ به في الأمورِ الَّتِيْ يَقْدِرُ عليها، والحيُّ الحاضِرُ الموجودُ يُسْتَعَانُ به في الأمورِ الَّتِيْ يَقْدِرُ عليها ويَسْمَعُ كَلامَكَ أنت أَيُّهَاْ المستعينُ به؛ هذا لا بأس به، وإنما الممنوعُ أَنْ تستعينَ بالْمَيِّتِ، أو تستعينَ بالصَّنَمِ، أو بالكوكَبِ، أو بالغائِبِ مِنْ جِنٍّ أو غيرِهِمْ؛ هذا هو الممنوعُ، هذا هو الشِّرْكُ، أما أَنْ تستعينَ بالحاضِرِ فيما يَقْدِرُ عليه؛ لا بأسَ بذلك.

---

[٢٣] _ الفاتحة (٥).

[٢٤] _ ليس في الأصل.

فالواجِبُ علينا وعليكم جميعًا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ أَنْ نَعْرِفَ هذه الوصيةَ مِنَ النَّبيِّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابْنِ عَمِّهِ، ونعملَ بها، فنَحْنُ إذا عَمِلْنَا بها وُفِّقْنَا، ونَسْأَلُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ أَنْ يجعلَنَا وإيَّاكُمْ دائِمًا مِنَ الْمُوَفَّقِينَ، ولاسيما في هذه الأعصارِ.

واعْلَمُوْا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّنِي أُوْصِي نَفْسِي وإيَّاكُمْ وأنتم خاصَّةً؛ لأنَّكُمْ في دارٍ تعرفونَهَا، أوصيكم بالْبُعْدِ عن التَّشَبُّهِ بالكفَّارِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: "مَنْ تَشَبَّهَ بقومٍ فهو منهم".

الكفّارُ حَفِظَكُمُ اللهُ قد رَكَنُوا إلى الدّنيا، ورَغِبُوا فيها، ونَسُوْا الآخرَةَ، واللهُ قد حَذَّرَنَا منهم في قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَاْ: {وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ}[٢٥]، وقولِهِ جَلَّ وَعَلَاْ: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ}[٢٦].

فالواجِبُ على المؤمِنِ ألا يَتَشَبَّهَ بهم، فَيُضَيِّعَ آخِرَتَهُ، بل عليه أَنْ يستعدَّ للآخِرَةِ، ويتأهَّبَ لها، ويَحْذَرَ مِنَ الرُّكونِ إلى هذه الدَّارِ الدُّنْيا الفَانِيَةِ، ويَغْتَرَّ بالكفَّارِ وبما وصلوا إليه مِنَ التَّقدُّمِ في علومِ الدُّنيا، يَرْكَنُ إليهم رُكُونَ الرَّاغِبِ في هذه الدنيا الَّتِيْ هم فيها، كَأَنَّهُ قد اطْمَأَنَّ إليها.

فالواجِبُ علينا جميعًا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ الوطنَ الحقيقيَّ هو الجنةُ، فهي وَطَنُنَا الأوَّلُ، وهي مَحَلُّ أبينَا آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ سابقًا.

فالواجِبُ التَّأَهُّبُ لِلذَّهابِ إلى هذا الوطَنِ، فهي المستقرُّ كما قال ابْنُ القيِّمِ: وَقَدْ زَعَمُوْا أَنَّ الْغَرِيْبَ إِذَاْ نَأَىْ وَشَطَّتْ بِهِ أَسْفَارُهُ لَيْسَ يَسْلَمُ، وَلكِنَّنَا سَبْيُ العَدُوِّ، فَهَلْ تَرَى نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنُسَلَّمُ؟! فَحَىَّ عَلَىْ جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنهَا مَنَازِلُكِ الْأُوْلَىْ وَفِيهَا الْمُخَيَّمُ.

---

[٢٥] _ ود (١١٣).

[٢٦] _ الحشر (١٩).

فمنزِلُنَا ووَطَنُنَا الأوَّلُ هو الجنّةُ، فالواجِبُ الاستعدادُ له؛ فَإِنَّ الرَّحيلَ قريبٌ، ولا يدري العبدُ متى يَفْجَؤُهُ الأجَلُ؟

وأوصيكم بأمرٍ آخَرَ (هو الرَّابعُ)؛ إحسانِ الْخُلُقِ؛ فَإِنَّ تحسينَ الخُلُقِ هذا أمرٌ مطلوبٌ كما قال النَّبيُّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ مِنْ أَقْرَبِكُمْ مِنِّي مجلسًا يَوْمَ القيامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا"، هذا يدلُّ على فَضْلِ حُسْنِ الْخُلُقِ.

ويقولُ عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ: ما مِنْ شيءٍ في الميزانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ.

وقد جاءَتِ الأحاديثُ كثيرةٌ في هذا الباب، مِنْ ذلك قولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ كما في صحيحِ مسلمٍ: البرُّ حسنُ الْخُلُقِ، البرُّ حسنُ الخُلُقِ.

ومِنْ ذلك قولُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاْةُ وَالسَّلَاْمُ: "كَادَ حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ يَذْهَبَ بِخَيْرَيْ الدُّنْيَا والآخِرَةِ".

فالواجِبُ علينا جميعًا مَعْشَرَ الْإِخْوَةِ أَنْ نَعْتَنِيَ بالأخلاقِ الحسنةِ، فينبغي للمؤمِنِ أَنْ يَتَحَلَّى بالخُلُقِ الكريمِ، وأَنْ يحرِصَ ويجاهِدَ نَفْسَهُ.

هذه الأمورُ تحتاجُ إلى جهادٍ، وإلى صبرٍ، يقولُ النَّبيُّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المعروفِ شيئًا ولو أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بوجهٍ طَلِقٍ"، وفي روايةٍ أخرى أو لفظٍ آخَرَ : "طَلِيْقٍ"، فهذا مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ.

فالمؤمِنُ يجاهِدُ نفسَهُ مع إخوانِهِ، ومع أهلِ بيتِهِ، ومع جيرانِهِ، ومع أصدقائِهِ، ومع زملائِهِ في الْعَمَلِ، ومع مُجْتَمَعِهِ، يجتهدُ ويحرِصُ مهما كانت حالُهُ أَنْ يُحَسِّنَ أخلاقَهُ، وأَنْ يبتَعِدَ عن العنفِ، والغلظةِ، والشِّدَّةِ، والجَفَاءِ، وسوءِ الْخُلُقِ، يحرِصُ عن الْبُعْدِ عن ذلك كُلِّهِ ما استطاعَ، والتوفيقُ بِيَدِ اللهِ جَلَّ وَعَلَاْ، لَكِن العبدُ يسعى ويسألُ رَبَّهُ التَّوفيقَ.

فكلُّ إنسانٍ يَجِدُ مِنْ نَفْسِهِ أحيانًا أَشْيَاءَ، ويَجِدُ مِنْ نفسِهِ أحيانًا فُتُورًا وقُصُورًا، لكن لا بد مِنَ التَّصَبُّرِ، لابد مِنْ معالَجَةِ النَّفْسِ، فالإنسانُ إذا صَبَرَ وعالَجَ نَفْسَهُ وجاهَدَهَا؛ أَعَانَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَاْ عليها، فَإِنْ هو رَكَنَ وتَكَاسَلَ هَلَكَ، نَسْأَلُ اللهَ العافيةَ والسَّلامَةَ.

فينبغي لنا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ في الوصيَّةِ الَّتِيْ أُرْدِفُ بها بَعْدَ الَّتِيْ سَبَقَتْ؛ أَنْ نتواضَعَ كما جاء في وصيَّةِ النَّبيِّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنا في حديثِ عياضِ بْنِ حِمَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ اللهَ تعالى أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تواضَعُوا حَتَّىْ لا يَبْغِيَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يَفْخَرَ أحدٌ على أحدٍ".

فالواجِبُ علينا أَنْ نتواضَعَ، فلا ينبغي أَنْ نَتَعَدَّى، ولا يَنْبَغِي أَنْ نَفْخَرَ، وأَنْ نَأْشَرَ، وأَنْ نَبْطَرَ.

الواجِبُ على المؤمِنِ الحذَرُ مِنَ البَغْيِ والظُّلْمِ والأَشَرِ والبَطَرِ والفَخْرِ والخُيَلاءِ؛ كما قال جَلَّ وَعَلَاْ: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ}[٢٧].

ومِنَ المنكرِ الفخرُ والخيلاءُ والبغيُ على عبادِ اللهِ جَلَّ وَعَلَاْ، كيف تَتَكَبَّرُ على عبادِ اللهِ وأنْتَ وإِيَّاهُمْ سواءٌ؟! {يَا أَيُّهَاْ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[٢٨]، لماذا يتكبَّرُ العبدُ؟!

الواجِبُ التَّواضُعُ وعَدَمُ التَّكَبُّرِ، ويعرفَ أَنَّهُ ضعيفٌ، وأَنَّهُ مَهِينٌ في أَصْلِهِ، كما قال جَلَّ وَعَلَاْ: {أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ}[٢٩].

فأصلُ الإنسانِ ضعيفٌ، مِنْ نطفةٍ، مِنْ ماءٍ مهينٍ، لماذا يَتَكَبَّرُ؟!

---

[٢٧] _ النحل (٩٠).

[٢٨] _ الحجرات (١٣).

[٢٩] _ المرسلات (٢٠_٢٢)

فالواجِبُ عليه أَنْ يتواضَعَ، وألا يَفْخَرَ على النَّاسِ، ولا يتكبَّرَ عليهم بجاهٍ، ولا مالٍ، ولا بعلمٍ، ولا بقوَّةِ جِسْمٍ، ولا بنسبٍ، ولا بحسبٍ، ولا برفعةٍ، ولا بمنصبٍ؛ "إنَّ اللهَ أوحى إليَّ أَنْ تواضَعُوا حَتَّىْ لا يَبْغِيَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يَفْخَرَ أحدٌ على أحدٍ"؛ لماذا؟ لأنَّ اللهَ يقول: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[٣٠].

فالواجِبُ علينا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ أَنْ نَتَّصِفَ بهذا الْخُلُقِ العظيمِ (خُلُقِ التَّوَاضُعِ)، وعدمِ الأَشَرِ، وعَدَمِ الْبَطَرِ، ونَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ أَنْ يَرْزُقَنَا وإِيَّاكُمْ ذلك كُلَّهُ.

وأَخْتِمُ هذه الكلماتِ بقولِ النَّبِيِّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهم أصلحْ لنا ديننَا الذي هو عصمةُ أمرِنَا، وأصلحْ لنا دنيانا الَّتِيْ فيها معاشُنَا، وأصلحْ لنا آخرتَنَا الَّتِيْ إليها معادُنَا، واجعلِ الحياةَ زيادةً لنا في كلِّ خيرٍ، والموتَ راحةً لنا مِنْ كلِّ شرٍّ، اللهم أصلحْ لنا ديننَا.

كان النَّبِيُّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو هكذا، يقول: "اللهم أصلحْ لي ديني الذي هو عصمةُ أمرِي، وأصلحْ لي دنياي الَّتِيْ فيها معاشِي، وأصلحْ لي آخرَتِي الَّتِيْ إليها معادِي، واجعلِ الحياةَ زيادةً لنا في كلِّ خيرٍ، والموتَ راحةً لنا مِنْ كلِّ شرٍّ".

فهذا الدُّعاءُ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ مِنْ أجمعِ الدُّعاءِ، ومِنْ أَهَمِّ الأدعيةِ، ومِنْ أنفعِ الأدْعِيَةِ.

فينبغي للمؤمِنِ والمؤمنَةِ، وينبغي لي ولكم جميعًا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ (جَمِيعِ المؤمنين)؛ الإكثارُ مِنْ هذا الدُّعاءِ بما فيه مِنَ الخيرِ العظيمِ؛ لأنَّهُ دعاءٌ جامعٌ، اللهم أصلحْ لنا ديننَا الذي هو عصمةُ أَمْرِنَا، وأصلحْ لنا دنيانا الَّتِيْ فيها معاشُنَا، وأصلحْ لنا آخرَتَنَا الَّتِيْ إليها معادُنَا، واجعلِ الحياةَ زيادةً لنا في كُلِّ خيرٍ، واجعلِ الموتَ راحةً لنا مِنْ كلِّ شَرٍّ.

---

[٣٠] _ الحجرات (١٣).

وعلينا أَنْ نَبْتَعِدَ مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ عن الجدالِ والمراءِ الذي لا فائدةَ فيه، الذي يُوْرِثُ الضَّغينةَ والبغضاءَ والعداواتِ، أَنْ نَبْتَعِدَ عن الجدالِ، نَبْتَعِدَ عن الْمُمَارَاةِ.

وعلينا أَيْضًا أَنْ نكونَ رُحَمَاءَ بعبادِ اللهِ، حريصين على إيصالِ الخيرِ إليهم، وهدايتِهِمْ، ونَفْعِهِمْ، وإيصالِ كُلِّ ما يَنْفَعُهُمْ في أَمْرِ دِيْنِهِمْ ودُنْيَاهُمْ، وأَنْ نكونَ عليهم شَفِيْقِيْنَ، وأَنْ نكونَ بهم رحماءَ، وأَنْ نكونَ بهم لطفاءَ، وأَنْ نكونَ معهم لَيِّنِيْنَ؛ كما قالَ النَّبِيُّ صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ في الْأَمْرِ كُلِّهِ، ويُعْطِي عليه ما لا يُعْطِي على الْعُنْفِ، ولا على ما سِوَاهُ".

وأُوْصِيكُمْ بخاتمةِ وَصَايَايَ؛ أوصيكم بالْأُلْفَةِ، والمحبَّةِ، والأُخُوَّةِ، والتَّواضُعِ لبعضِكُمْ، واللِّينِ لِبَعْضِكُمْ، والْبُعْدِ عن أسبابِ الْفُرْقَةِ.

ومَنْ جَاءَ يريدُ أَنْ يُفَرِّقَكُمْ؛ فَاحْذَرُوهُ، واحرصُوا على أوقاتِكُمْ، ولا تَجْلِسُوا إليه، ولا تستمعوا له، ولا تُصْغُوْا له، احرصوا على أوقاتِكُمْ، وعلى صَرْفِهَا في النَّافِعِ.

اللهَ اللهَ في الألفَةِ والبُعْدِ عن الْفُرْقَةِ.

اللهَ اللهَ في الألفَةِ والأخْذِ بأَسْبَابِهَا.

اللهَ اللهَ في الْحَذَرِ مِنَ الْفُرْقَةِ والْبُعْدِ عن أسبابِهَا، ومِنْ أسبابِهَا الاستماعُ لِمَنْ يريدُ أَنْ يُفَرِّقَكُمْ، ويُلْقِيَ بينكم العداوةَ والبغضاءَ، احرصوا على الْبُعْدِ عن هؤلاءِ، ولا تَجْلِسُوا معهم، ولا تُصْغُوْا إليهم، ولا تُلْقُوا إليهم بأسماعِكُمْ.

أسألُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ أَنْ يُوَفِّقَنَا وإِيَّاكُمْ جميعًا لما يُحِبُّ ويَرْضَى، وأَنْ يَجْعَلَنَا وإِيَّاكُمْ جميعًا هداةً مهتدين، وأَنْ يُجِيرَنَا وإِيَّاكُمْ مِنْ مُضِلَّاتِ الفتنِ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ، وأَنْ يُصْلِحَ أحوالَ المسلِمِينَ

عامَّةً، في كلِّ مكانٍ حُكَّامًا ومحكومين، إِنَّهُ وليُّ ذلك والقادِرُ عليه، وصَلَّىْ اللهُ وسَلَّمَ وبَارَكَ على عَبْدِهِ ورسولِهِ نبيِّنَا مُحَمَّدٍ، وعلى آلِهِ وأَصْحَابِهِ وأَتْبَاعِهِ بإحسانٍ[٣١].

[٣١] _ مَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ فِيْ التَّفْرِيْغِ فَلِمَا فِيْ الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُوْرٍ وَتَقْصِيْرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّىْ الصَّوَابَ، فَجَزَىْ اللهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِيْ مِيْزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَىْ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِيْن.